فى دغل إفريق يتجافى عن الممران ، دغل يعمر بالزواحف والكواسر والسباع ، وما هذا الصمت إلا فترة ترقب وترصد يعقبه انقضاض وافتراس... فتسرع التلفت ، وتحث الخطا ، وإذا صوت رفيق يصافح أذنيك ، إنه خرير جدول لايسفر للعيون ... ومهما تحاول البحث عن هذا الجدول ، فإنك لا تعثر له على أثر... أثمة جدول حقاً ؟ ... لتكن ما تكون أيها الرفيق المؤنس . حسبك أنك نفيت الوحشة ، وأسبغت على النفس أمناً ورضا... إننا لا نراك ، وإن كنا نحس وجودك ، كما يحس المرء أطياف الراحلين الأعزاء ، وقد ألموا فى تطوافهم به ، يناجونه ويؤنسونه، وإن تقطعت بينهم وبينه أسباب الحياة .

وتوالى سيرك ، وهذا الجدول اللطيف يصاحبك ، حتى يفضى بك إلى أولى البحيرتين ، فتقف تجاهها تتأمل... بركة قفراء ، ماؤها غير رقراق ، منطوية على نفسها هَيُوب ، ولكنها مع ذلك تسفر لك عن جمال يأخذ بمجامع القلب ، جمال العزلة والانفراد ، جمال الانقطاع عن كل مايصلك بحياتك التى ألفت ، جمال النسيان ! ...

على هذه البحيرة يرتسم فى خلدك أن العالم قد غفل عنك ، وأن اسمك قد حذف من هذا الكون العريض ، فتشعر بأنك قد تحررت من كل قيد ، وأن نفسك انطلقت على سجيتها انطلاق